من الطائف حين يئس من خير ثقيف محزونا وروي ان الله تعالى ارسل اليه جبرائيل عليه السلام ومعه ملك الجبال فقال ان شئت أطبقت عليهم الأخشبين وهما جبلا مكة (قال العلماء) (اي) بعد قتلهما الي الطائف) وقيل الضمير لاهل مكة لأنهم سبب ذهابه الي ثقيف فقال صلى الله عليه وسلم بل ارجوا ان يخرج الله تعالى من اصلابهم من يعبده لا يشرك به شيئا فقال له ملك الجبال انت كما سماك ربك رءوف رحيم ثم سار الى حراء) (وفي اسد الغابة) ولما عاد من الطائف ارسل الى مطعم بن عدي يطلب منه ان يجيره فأجاره ودخل المسجد معه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكر له ذلك) (وكان رجوعه من الطائف لثلاث وعشرين ليلة خلت من ذي القعدة) (وفي رجوعه صلى الله عليه وسلم من الطائف نزل نخلة) (وهو موضع على ليلة من مكة) وصرف اليه سبعة من جن نصيبين) وهي مدينة بالشام فلما سمعوا القران استمعوا له وهو يقرأ سورة الجن فلما رجعوا الى قومهم (قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا) وانزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم (قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن) كما في الصحيح) (وذلك) (قوله تعالى وإذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران) الاية) (وفي السنة الحادية عشر من النبوة) كان ابتداء اسلام الانصار) روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج ويتتبع الناس في منازلهم بعكاظ ومجنة وذي المجاز في المواسم ويقول من يؤويني من ينصرني حتى ابلغ رسالة ربي فله الجنة فلا يجد احدا ينصره ولا يجيبه حتى انه ليسأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة فيردونه اقبح رد ويؤذونه ويقولون قومك اعلم بك الى ان اراد الله اظهار دينه فساقه صلى الله عليه وسلم الى هذا الحي من الانصار وهو لقب اسلامي لنصرتهم النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا يسمون اولاد قيلة والاوس والخزرج فلقي في منى نفرا من الخزرج عند العقبة التي بجنب منى فقال من انتم قالوا من الخزرج قال افلا تجلسون اكلمكم فجلسوا فدعاهم الى الاسلام وتلا عليهم القران وكان عندهم علم منه فعرفوا نعته لان يهود المدينة كانوا يقولون لهم ان نبيا مبعوث الآن فنتبعه ونقتلكم معه فاجابوه لئلا يسبقهم اليهود اليه واسلم منهم ستة نفر فقال لهم تمنعون ظهري حتى ابلغ رسالة ربي فقالوا ندعو قومنا الى ما دعوتنا اليه فان اجابوا فلا احد اعز منك وموعدك الموسم في العام القابل وامرهم بالكتمان عن اهل مكة فلما وصلوا المدينة لم يبق فيها دار الا وفيها ذكره) ثم في العام الثاني لقيه اثنا عشر رجلا خمسة من الستة الاولى والبقية من الخزرج ايضا الا رجلين من الاوس وهذه هي العقبة الثانية فاسلموا وقبلوا ما اشترطه عليهم ثم رجعوا واظهر لهم الاسلام فيهم (وكان) اسعد بن زرارة يجمع بالمدينة من اسلم ثم ارسلوا يطلبون من يعلمهم القران فارسل اليهم مصعب بن عمير فاسلم على يديه جمع كثير) منهم) سيد الاوس سعد بن معاذ واسيد بن حضير واسلم بنو عبد الاشهل كلهم في يوم واحد رجالا ونساء) ثم قدم في العام الثالث في الموسم نحو من سبعين رجلا وهي العقبة الثالثة فبايعهم على انهم يمنعونه مما يمنعون منه نساءهم وابناءهم وعلى حرب الاحمر والاسود وحضر العباس عمه الثالثة واكد عليهم صدق الحديث) تنبيه) بعضهم يسمي العقبة الثالثة ثانية) وفي السنة الثانية عشرة من النبوة قبل الهجرة بسنة كما قاله ابن شهاب عن ابن المسيب اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم وعرج به يقظة ليلة السبت لسبع وعشرين خلت من ربيع الاول قاله ابن الاثير والنووي في شرح مسلم) وقيل في رجب ليلة سبع وعشرين [illegible] واما مناما فوقع له ذلك ثلاثا وثلاثين مرة على ما ذكره الشعراني رضي الله عنه وفرضت عليه في تلك الليلة الصلوات الخمس قيل كما هي الآن في عدد الركعات وهو الاصح) وقيل ركعتين ركعتين ثم فرض عام الهجرة بعدها تمام الرباعية اربعا والثلاثية ثلاثا في الحضر) وكانت) الصلاة اول الاسلام ركعتين بالغداة (قال الحلبي) (اي) قبل طلوع الشمس وركعتين بالعشي) قال الحلبي) اي قبل غروب الشمس والاكثر على ان البداءة بصلاة ظهر اليوم التالي لتلك الليلة) قال الخطيب) فان قيل فلم لم يبدأ بالصبح واجاب بجوابين

الاولى انه حصل التصريح بان اول وجوب الخمس من الظهر وعزاه للمجموع الثاني ان الاتيان بالصلاة متوقف على بيانها ولم تتبين الا عند الظهر اه) وقيل كانت البداءة بصلاة صبحها) فائدة) قال صاحب الكنز المدفون سألني سائل عن ركوبه صلى الله عليه وسلم البراق ليلة الاسراء هل انتهى به الى بيت المقدس خاصة ام صعد عليه الى السموات) قال) فتأملت الاحاديث الواردة في ذلك فوجدت منها ما هو ساكت عن ذلك) ومنها ما هو مصرح بالثاني) ومنه حديث انس اخرجه الامام احمد عن عفان انبأنا همام قال سمعت قتادة يحدث عن انس يذكره ولفظه ثم اتيت بالدابة فحملت عليها فانطلق بي جبريل حتى اتى السماء الخ) وفي رواية حذيفة) والله ما زايلا البراق حتى فتحت ابواب السماء فرأيا الجنة والنار رواه الترمذي) قال الحلبي) كانت صلاته صلى الله عليه وسلم قبل فرض الصلوات الخمس الى الكعبة وبعده الى بيت المقدس جاعلا الكعبة بينه وبين بيت المقدس ليكون مستقبلا لهما ايضا فلما قدم ولم يمكنه هذا الجمع شق عليه استدبار الكعبة فهذا سبب تحويل القبلة (وفي هذه الليلة) شق صدره صلى الله عليه وسلم) وقد وقع شق صدره الشريف صلى الله عليه وسلم خمس مرات مرة في طفوليته عند حليمة وهي مشفقة عليه ومرة وهو ابن عشر سنين واشهر [illegible] سلم) ومرة ليلة الاسراء ومرة حين جاءه الملك بالوحي ذكرها بعضهم ومرة في النوم) وفي ليلة الاسراء) رأى ربه بعيني رأسه على الصحيح وكلمه ورؤيته له في الدنيا من خصوصياته صلى الله عليه وسلم وهي مستحيلة شرعا على غيره في الدنيا ولما اصبح اخبر الناس فكذبه الكفار وسألوه عن بيت المقدس ولم يكن رآه قبل فرفعه له جبريل حتى وصفه لهم)

فصل في ذكر الهجرة وما يتصل بها

قال اهل السير) لما ابرم عقد المبايعة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين اهل المدينة ولم يقدر اصحابه ان يقيموا بمكة من اذى المشركين ولم يصبروا على جفوتهم رخص لهم في الهجرة الى المدينة) روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت لما اشتد البلاء على المسلمين من المشركين شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استأذنوه في الهجرة فقال قد رأيت دار هجرتكم وهي ارض سبخة ذات نخل بين لابتين ثم مكث بعد ذلك اياما ثم خرج الى اصحابه وهو مسرور فقال قد اخبرت بدار هجرتكم الا وهي يثرب فمن اراد منكم الخروج فليخرج فخرجوا ارسالا) اي) قطائع سرا الا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فانه اعلن بالهجرة ولم يمنعه احد من كفار مكة هو واخوه زيد بن الخطاب ولم يبق معه صلى الله عليه وسلم الا ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وعلي بن ابي طالب كرم الله تعالى وجهه كذا قال ابن اسحاق وغيره) ثم) لما رأت قريش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اصاب منعة واصحابا بغير بلدهم ورأوا خروج اصحابه من المهاجرين اليهم حذروا خروجه صلى الله عليه وسلم واجتمعوا بدار الندوة للمشاورة وهي دار قصي بن كلاب وكانت قريش لا تقضي امرا الا فيها وفيها تشاورون وحجبوا الناس عن الدخول اليهم لئلا يدخل احد من بني هاشم فيطلع على حالهم قال ابن دريد كانوا اربعة عشر رجلا) وقال ابن دحية) كانوا مائة رجل ولما جلسوا للتشاور تبدى لهم ابليس في صورة شيخ نجدي جليل وفي رواية وبيده عكاز يتوكأ عليها وعليه جبة صوف وبرنس اغبر متطيلسا فوقف على باب الدار فلما رأوه قالوا من الشيخ قال شيخ من اهل نجد سمع الذي تواعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون وعسى ان لا يعدمكم منه رأي ونصح وان كنتم تكرهون حضوري معكم فلا اقعد معكم فقالت قريش بعضهم لبعض هذا رجل من نجد لا من مكة ولا يضركم حضوره فشرعوا في الكلام وقال بعضهم لبعض ان هذا الرجل يعني محمدا صلى الله عليه وسلم قد كان من امره ما كان وانا والله لا نأمن منه الوثوب علينا بمن اتبعه فاجمعوا فيه رأيا) فقال ابو البختري بن هشام) وفي رواية) قال هشام بن عمرو رأيي ان تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من الشعراء من كان قبله كزهير والنابغة فصرخ عدو الله الشيخ النجدي وقال بئس الرأي رأيتم والله لو حبستموه ليخرجن امره من وراء الباب الى اصحابه فلوثبوا وانتزعوه من ايديكم قالوا صدق الشيخ) وفي رواية البختري) قال هشام) رأيي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم